

من الانتفاضة إلى حرب التحرير أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني أ. محمد بابكر العوض*

هل يمكن للرؤية القدرية لدى طرفي الصراع العربي الإسرائيلي أن تسهم في فهم واقع المواجهة القائمة بينهما؟ وهل يمكن في إطار تلك الرؤية تحقيق تقدم على أفق المستقبل لمعالجة المشكل وتجاوز واقع الصراع الدامي بين الطرفين؟ أم ان الانتقال إلى منظور واقعي يعيد تقويم الأوضاع وفقاً للمعطيات الفعلية للواقع سيصبح أمراً متعذراً ما دام الصراع المسلح بين الطرفين قائماً؟ جملة من التساؤلات المطروحة عربياً.. التي يمثل كتاب المفكر الراحل عبد الوهاب المسيري (من الانتفاضة إلى حرب التحرير أثر الانتفاضة على الكيان الصهيوني) إجابة نموذجية لها .

لقد لعبت كل من إطلاقيه المنظور القدرية؛ والارتهان السلبي للرؤى (الوضعية) دوراً أساسياً في إطالة عهد الغيبوبة التي تهادى في ظلها الصراع وتمددت تحت عتمتها الكيان الصهيوني واكتسب على حساب الوجود العربي والإسلامي أضعاف ما كان يحلم به ويؤمل فيه. لقد نبه رحيل المفكر الكبير عبد الوهاب المسيري ومن قبله مقتل الكاتب المصري جمال حمدان ووفاة المفكر السوداني محمد ابوالقاسم حاج حمد إلى حقيقة خلو الساحة العربية والإسلامية من القيادات الفكرية التي تمتلك رؤية قادرة على التأثير في واقع القضية، وقادرة أيضاً على أن تجعل من الفكر ظهيراً لنضال الشعب الفلسطيني في سبيل استرداد حقوقه واستعادة ما اغتصب من أراضيه لقد كشف رحيل هؤلاء عن وجه آخر للأزمة يتمثل في عجز العقل العربي عن تقييم موقفه الصراع من ناحية وضعف ثقته في قدرته على العمل على تحديد مدى موضوعي لذلك الصراع. في مقدمة الكتاب وبلغة لاذعة وساخرة يقدم المسيري تحليلاً لحالة التعرض السالب للمضمون الذي تبثه وسائل الاعلام العالمية عما يحدث في فلسطين بقوله " لقد استخدم الصهاينة والاعلام الغربي لفظ [الإرهاب] للإشارة لأعمال [المقاومة] ولفظ [الانتحار] للإشارة إلى عمليات [الاستشهاد]، وتبنت وسائل الإعلام، فضلاً عن معظم النخب الحاكمة، هذين المصطلحين. وفي هذا الإطار الإدراكي لم تعد القضية هي [تحرير الأرض السليبية]، أو [استعادة الحقوق الضائعة]، أو [التصدي للعدو وهزيمته]، أو [دعم الانتفاضة سياسياً ومالياً وعسكرياً وعدم الاكتفاء بالدعم اللفظي الرتيب]، أو [الضغط من أجل تحويل مكاسب الانتفاضة الميدانية والعسكرية إلى مكاسب سياسية]، أو [رد الاعتبار للأمة العربية واستعادة كرامتها]. بدلاً من هذا كله تصبح القضية [رفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني]، و [إيقاف العنف]، وفي رواية أخرى [الإرهاب]، ووقف العمليات الانتحارية، بل و[العودة إلى مائدة المفاوضات]، و[التنازل عن حق العودة حقناً للدماء]، واذهب أنت وربك فقاتلا.. إننا هنا قاعدون".

* أستاذ مساعد بمعهد إسلام المعرفة - جامعة الجزيرة.

يتعامل المنظور القدري مع القضية من خلال أسئلة مثل أمد الصراع ونهايته هل هو سجال أبدي ينتهي بنهاية العالم؟ أم انه مجرد حالة ظرفية خاضعة لمعطيات التداول اليومي للأحداث؟ وفي الكتاب الذي بين أيدينا - وفي سياق الأسئلة المطروحة آنفاً- يؤكد عبد الوهاب المسيري على ما أسست له مؤلفاته العديدة من أن ما يحدث على الساحة العربية الاسرائيلية ما هو إلا مواجهة بين مستعمر متغلب ومستعمر مغلوب على أمره، وأن هذه المواجهة بكل عنفوانها تظل خاضعة خضوعاً تاماً لمعطيات الواقع الظرفي؛ في محاولة منه لتجاوز التصور القدري والاطلاقي الذي انتهى بالعقل العربي والإسلامي إلى حالة من التآرجح البندولي بين أفقي المطلق والواقع وأقعد به عن صياغة منظور فعال قادر على تفسير حقيقة صراعه مع الكيان الصهيوني. وإذا كانت كتابات المسيري السابقة قد أسست نظرياً لهذا المعنى فإن هذا الكتاب يحاول أن يقدم إجابة لتساؤل هام هو كيف يمكن وضع مسألة الصراع مع الكيان الصهيوني في سياق يجعلها قابلة للتحليل الموضوعي؟ وكيف يمكن قراءة القضية الفلسطينية في سياقها التاريخي من خلال معالجتها وتحليلها في إطار المعطى اليومي للأحداث الدائرة داخل الوطن المحتل وما يحيط بالمسألة من الخارج؟ ولعل هذا التساؤل يمثل الغاية التي سعى المسيري لتحقيقها من خلال منهجية شاملة ومتناسكة في التعامل مع الظاهرة الاسرائيلية.. والحركة الصهيونية والوجود اليهودي. إلا أننا في مثل هذا الوقت ونحن نستعرض أحد كتابات المفكر الراحل عبد الوهاب المسيري نبقى مطالبين بأن نبرر لماذا المسيري؟ ولماذا في هذا الوقت؟ ولماذا هذا الكتاب؟ خاصة ان الكتاب لا يعتبر من كتب المسيري الشهيرة ولا هو أكثرها أثراً على الساحة العربية والإسلامية ولعله ظل في هامش اهتمامات الأكاديميين منذ صدوره في العام 2002م. ونترك الإجابة على هذه التساؤلات تتولد تلقائياً من خلال هذا العرض.

وذلك من خلال، تحديد موقع الكتاب من الإنتاج الفكري للمسيري وبيان القيمة العلمية والمنهجية للكتاب من خلال استعراض أهم متضمنات الكتاب ومناقشة عدد من القضايا التي أثارها وبيان نقاط التميز في منهجية التحليل التي استخدمها الكاتب.

ونبدأ بالحديث عن الظروف والملابسات التي رافقت صدور الكتاب .. إذ من الممكن اعتبار كتاب [من الانتفاضة إلى حرب التحرير] كتاباً صغير الحجم¹ مقارنة بالكتب الموسوعية التي نشرها المسيري؛ وهو أقرب في الحجم والشكل إلى أول ما نشر له بالعربية "كتاب نهاية التاريخ" الصادر عام 1972م وربما أوحى شكل الكتاب وعناوينه الداخلية وطريقة إعداده أنه لن يخرج عن كونه تقريراً أو تحليلاً سياسياً عابراً لحدث يحظى بتغطية إعلامية واسعة لتعلقه بالصراع العربي الاسرائيلي، وقضية النضال الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني.. فعندما صدر هذا الكتاب الصغير لأول مرة في العام 2002م كان مواكباً للانتفاضة الأقصى أو الانتفاضة الفلسطينية الثانية اللاحقة للانتفاضة الأولى عام 1987م وقد صدرت النسخة الورقية منه إلى جانب نسخة إلكترونية نشرت في ذات التوقيت كمصدر مفتوح على الانترنت وتضمن الغلاف الداخلي للكتاب نصاً يدعو لنشر وتوزيع هذا الكتاب على أوسع نطاق، عن طريق التصوير أو النسخ أو التسجيل أو التداول عبر البريد الإلكتروني وشبكة الإنترنت، بدون الحصول على إذن مسبق من المؤلف وأن جميع حقوق النشر محفوظة مما أتاح للكتاب قدراً واسعاً من الانتشار، فطبع الكتاب في دمشق [دار الفكر] وطبع في برلين وفي نيويورك كل ذلك حدث في سنة

¹ 160 صفحة. نسخة دار الفكر

الصدور [العام 2002م] وقد جاءت طريقة النشر متعددة الأبعاد هذه تجسيدا لمعنى الجهاد المعرفي الذي اختطه المسيري ليساند به ويظهر من خلاله الجهاد السياسي والعسكري للشعب الفلسطيني. وليؤكد غيره أن القضية الفلسطينية في طرحها العربي والإسلامي مرهونة في نجاحها بتلازم ضروري بين تغيير جوهر في الرؤية وزاوية النظر العربية للصراع يواكبه فعل حركي دائب على أرض الواقع..

هذا فيما يتعلق بالكتاب أما مؤلف الكتاب الدكتور عبد الوهاب المسيري فلا خلاف انه يعد من أهم محلي الظاهرة الصهيونية الاسرائيلية في العالم العربي.. وأحد أشهر من كتب حولها بعمق من خلال عمله الأشهر [موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية]. وهو إلى جانب ذلك صاحب مدرسة فكرية محترمة وقائد لتيار سياسي له وزنه .. والمسيري كتجربة شخصية يمثل بقدر كبير التيارات الأساسية في الساحة العربية الإسلامية فهو ذو انتماء سابق إلى تيار اليسار العلماني وانتماء لاحق إلى التيار الإسلامي، حيث تسجل سيرته أنه انتمى إلى الحزب الشيوعي انتماءً تنظيمياً وانتمى إلى الإخوان المسلمين انتماءً فكرياً ولعل هذه أحد مزايا المسيري التي خولته وهو الأكاديمي العريق في أكاديميته أن يحتل مكاناً مميزاً على الساحة السياسية في بلاده كما رشحته لزعامة حركة سياسية تلتقي على برزخها ألوان من الأطياف السياسية والفكرية المتباينة².. لقد استطاع المسيري أن يجمع بين أهم خطين فاعلين فكرياً وسياسياً على الساحة العربية والإسلامية واستطاع أن يتحدث بنوعين من أساليب الخطاب والمصطلحات التي تعكس تقديراً كاملاً لوجود الآخر على المستوى العربي والإسلامي.

وإذا نظرنا لهذا الكتاب في إطار الانتاج الفكري للمسيري³ سنلاحظ أنه لا يخرج عن الإطار الأساس الذي يقسم فكر المسيري بين الكتابات المتعلقة بالنظام المعرفي وقضايا فلسفة المعرفة من جانب والجزء الآخر المتعلق بالدراسات حول الصهيونية ودراسات القضية الفلسطينية.. وينبغي أن يذكر أيضاً أن المسيري قد أنتج كتاباً مشابهاً فور قيام الانتفاضة الأولى عام 1987م وهو ما يوضح أن المسيري كان متابعاً جيداً للشأن الفلسطيني؛ فقد كان كما تعكس خطابه التلفزيونية شديد الحرص على المتابعة اليومية لما تنشره الصحافة الاسرائيلية وكان من شكواه من مرضه الأخير أنه حرمة من الانتظام في هذه المتابعة..

حاول المسيري في هذا الكتيب أن يعكس أثر الانتفاضة الفلسطينية على الواقع الاسرائيلي نفسياً وعقلياً من خلال تحليل ظاهرة الاستيطان واتجاهات المستوطن، وهذا هو الجزء الأهم في تقديري وهو المعنون له بـ "بين الاعتدال والتطرف" إلى جانب الآثار على الكيان الصهيوني من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية، كما يهتم بانعكاس الانتفاضة على المستوى العالمي "ماذا أثارت الانتفاضة على المستوى الدولي؟" وهو يسعى من وراء ذلك لمساعدتنا للوصول إلى حكم يؤهلنا أن نقرر من هو المنتصر ومن المهزوم في هذه المعركة التي نشاهدها يومياً.. وفي كل من عناوينه يعرض الكتاب عدداً كبيراً من الاستشهادات من الصحافة اليومية ووسائل الإعلام الاسرائيلية؛ ومن الصحافة الغربية ومن التقارير الرسمية للحكومات العربية والغربية.

2 حركة كفاية

³ الذي ألف وترجم ما يزيد عن الستين كتاباً منها ثلاثة كتب باللغة الإنجليزية في فترة زمنية تزيد على 40 سنة هذا بخلاف الكتاب التي فرغ منها أو كاد ولما تصدر بعد فالعدد من تلك الإصدارات قد يصل إلى 70 كتاباً أو يزيد أنظر البريدي، عبد الله: عبد الوهاب المسيري خارطة أفكاره وإنتاجه، محلة افكار جديدة العدد 23 يناير - مارس 2009 هيئة الأعمال الفكرية (الخرطوم) ص 57، 56.

وفي محاولة لتقديم نموذج تحليلي شامل يعتمد على المحتوى الإعلامي ويلتزم الرصانة العلمية جنباً إلى جنب امتاز أسلوب الكتاب بالابتعاد عن صيغ الخطاب بضمير المتكلم وابتعاد تام عن اللغة التقريرية والأسلوب الجازم تاركاً المجال مفتوحاً لمزيد من التفكير .. ويمتاز المسيري في تأليفه أيضاً باعتماده على التشاور العلمي والاجتهاد المشترك بينه وبين تلاميذه ممن ساهموا معه في انجاز مشروعاته التأليفية الكبرى كالموسوعة والتحيز وغيرها.

في حديثه عن جنود الانتفاضة يسوق المسيري الحدث منطلقاً من جنوره الأولى في ثورة عز الدين القسام عام 1938م التي يربطها بصواريخ القسام في العام 2002م وهو اقتباس لا يتجاوز المسيري بنظرة عابرة فيورد نقلاً عن أحد المحللين الإسرائيليين (أفيري) ما يلي: "هذا في الشهر السابع من الانتفاضة، فما بالك بالشهر السابع عشر والثامن عشر، وما بالك بصاروخ قسام 2، محلي الصنع، الذي يصل إلى العمق الإسرائيلي" (صاروخ القسام) الذي كتبت عنه الصحف العربية في البداية وكأنه خبرٌ عادي، وكأنه لا يتضمن تغييراً نوعياً في المواجهة بين جيش الاحتلال والمقاومة الفلسطينية، في الوقت الذي وصف فيه (جدعون سامت) الصاروخ بأنه [ليس نجاحاً للانتفاضة الثانية وحسب، بل هو أيضاً إخفاق محتم وصارخ لجهود الردع الإسرائيلية] [هآرتس 30 / 1 / 2002م]."

وعن التطبيع وحقيقة الصراع يرى المسيري أن دعاة التطبيع يتجاهلون أن الصراع العربي الصهيوني لم ينشأ بسبب حالة نفسية أو حالة عقلية وإنما لأسباب موضوعية ملموسة، وهي أن كتلة بشرية غريبة وافدة جاءت إلى الأرض الفلسطينية فاستولت عليها وطردت شعبها، ولا يمكن إصلاح الوضع إلا بإرجاع الأرض إلى أصحابها وعودة الشعب الذي طُرد. إن عملية التطبيع .. عملية بنويوية [أي إنها مرتبطة ببناء الدولة الصهيونية، والبناء بطبيعته لا علاقة له بالحالة النفسية أو العقلية]. إن بنية إسرائيل ذاتها بنية غير طبيعية، ولذا فالتطبيع معها غير ممكن.

ويشير الكتاب إلى تحولات هامة في الخريطة الإدراكية الاستيطانية وتسهب أجزاءه في العرض والتحليل لنفسية المستوطن الإسرائيلي كما تعرضها المصادر الإعلامية الإسرائيلية، وتعطي فرصة واسعة للإطلاع على جملة من التقارير الصحفية والإعلامية والكتابات الإسرائيلية التي تعرض ما يحمله المستوطنون من تصور للحالة الاستيطانية واتجاهات تطورها.. وانعكاساتها السياسية والاجتماعية والنفسية. محاولاً الإجابة على تساؤل هام يطرح من قبل الطرفين الإسرائيلي ودعاة التصالح على الطرف العربي الفلسطيني وهو .. هل يمكن أن تكون المشكلة نفسية؟.

..وهنا يبدأ المسيري باستطلاع موقف المستوطن اليهودي الذي يمثل حجر الزاوية في المعضلة الأساسية التي غدت الانتفاضات الأخيرة التي اندلعت في فلسطين، وفي الوقت الذي كانت التحليلات العربية للانتفاضة تركز على المواطن الفلسطيني باعتباره الضحية ظل المسيري يركز على المستوطن الإسرائيلي.. مبيناً أنه إلى جانب الأثر المعنوي المترتب على الاحتلال الكلي لأرض فلسطين هناك حالة استفزاز يومي بطلها المستوطن تسهم في صناعة الأحداث إعلامياً وواقعياً وخلق المبررات التاريخية لردود الأفعال الفلسطينية، ومن وراء الصورة الإعلامية للأحداث يعمل المستوطن كآلية لتوسيع الأحزمة الواقية للوجود الإسرائيلي برفد الأراضي الإسرائيلية المستقطعة أصلاً بأراضٍ إضافية على حساب الوجود الفلسطيني، لذلك فإن موقف المستوطنين يعتبر مؤشراً هاماً في تقدير مدى التأثير الذي أحدثته الانتفاضة الفلسطينية على الساحة الإسرائيلية وهذا الجزء في تقديري هو أهم أجزاء الكتاب لأسباب منها أن المسيري يقدم فيه أهم موضوعات كتابه وهو المنهجية التي

ينبغي أن نقرأ بها القضية الفلسطينية ويفعل خلاله المفاهيم التي أبداع في تصويرها وبنائها والتي تتعلق بالأنظمة الإدراكية ومنهجية التفسير والأنظمة المعرفية التي تعمل وراء الأحداث التي نشاهدها يومياً على شاشات التلفزيون.

يقول لنا المسيري أننا لو قرأنا رصد الصحافة الإسرائيلية لأحداث الانتفاضة وأثرها على المجتمع الإسرائيلي لوجدنا صورة مغايرة تماماً، تعيد لنا الثقة في أنفسنا، وفي مقدرتنا على التصدي للعدو. وحتى نعرف ماذا حدث في المستوطن الصهيوني بعد الانتفاضة، فلنحاول ابتداءً أن نرسم صورة للمستوطنين الصهاينة قبل اندلاعها، استناداً للصحافة الإسرائيلية.. فهو يقول مثلاً أن المستوطنين الصهاينة خلال السبع السمان من السنوات اللاحقة لتوقيع اتفاقية أوسلو كانوا يحملون بأنهم سيتمكنون من إحكام هيمنتهم على الشعب الفلسطيني، معتبراً اتفاقية أوسلو ليس مجرد تنازل عن الحق في الأرض وإنما تتعدى ذلك بكونها تنازلاً عن المطالبة بالحق الطبيعي في وطن مستقل والإشكال الآخر أنها تغير من نمط التفكير الفلسطيني بحيث يتحول المواطن الفلسطيني من باحث عن استرجاع كامل أرضه إلى محاول للتطبع مع الواقع الجديد.

ومعتبراً إياها - اتفاقية أوسلو - تعاقداً ضمناً مع النظام الدولي تتعاقد فيه إسرائيل بالنيابة عن النظام الغربي متمثلاً في أوروبا وأمريكا ضمن التزام تتعهد بموجبه المنظمة الدولية بحماية "الكيان الجديد" تماماً كما تحمي الكيان الإسرائيلي في نموذج مماثل لنموذج "هونج كونج" و "سنغافوره" القائم على الرفاهية الاقتصادية والمستويات السياحية في المعيشة؟ ويعتقد أن الكيان الجديد سيضم الأردن في إطار الشرق الأوسط الجديد. ولم يكن المستوطنون ليقبلوا أبداً أن يجد الفلسطينيون لهم موطناً اعترافاً إلا وفق هذا التصور. و يعكس التحليل كيف أن المستوطنين استسلموا لهذا الحلم الرومانسي واعتبروا أنه سيتحول إلى واقع "وقد استنام المستوطنون الصهاينة لهذه المتتالية اللذيذة التي كان من المفترض أن تجعلهم قادرين على الاستمرار في زيادة المستوطنات وفي تسميتها وتحسينها والاستمتاع ببجوحة العيش، دون أن يدفعوا أي ثمن. وقد وصلت الطمأنينة الزائفة التي تمتع بها المستوطنون إلى درجة أن الخريطة السياحية التي أصدرها المجلس الإقليمي لمستوطنات غور الأردن قبل اندلاع الانتفاضة لا يظهر عليها أي قرى أو مدن عربية، كأنها قد أزيلت، أو كأنها لم توجد أصلاً. ولذا كان غور الأردن - حسب هذه الخريطة الوهمية - هو أكثر الأماكن أمناً على وجه الأرض. حقاً إنها أرض بلا شعب، أو على أسوأ تقدير، أرض شعبها مكبل بالأغلال، يمكن توظيفه وتسخيرها".

ويقطع المسيري الطريق أمام أي احتمال للاستسلام القدي حين يقرر أن الظاهرة الإسرائيلية ليست كما تصور دولة إسرائيل "ظاهرة يهودية كما يدعي الصهاينة، وإنما هي إفراز للتشكيل الاستعماري الغربي، وشكل من أشكال الاستعمار الاستيطاني الإحلالي، الذي يقوم باغتصاب الأرض من أصحابها، وبطرد سكانها الأصليين منها وإبادتهم إن أمكنها ذلك، شأنها شأن كل الجيوب الاستيطانية الأخرى".

وتحت عنوان الضغط على الحواس الخمس يعالج الكتاب موضوع التطرف الصهيوني غير المبرر.. يقول -المسيري- أفهم أن يتطرف الفلسطينيون أن يسترجعوا أرضهم.. أن يقاوموا لتحقيق مكاسب لكنه يستغرب من سبب التطرف الصهيوني المتنامي كما يتساءل عن سر التأييد الشعبي العارم لشارون . ويسوق من بعد ذلك جملة من المبررات الموضوعية القاضية بأهمية (وجود فعل مقاوم على الأرض) لا بدواعي ثورية أخلاقية ولكن ببواعث عقلية ومبررات موضوعية تأسس لضرورة

استمرار الفلق الاسرائيلي كأداة ضرورية للحد من المد الاستيطاني .. ومن ثم فسح مجال لأمل معقول في تحقيق مكاسب بوجود أفضل للفلسطينيين داخل أراضيهم. "ولما كنا نعيش في عالم يؤمن بالحواس الخمس وبكل ما يُقاس، عالم يستند إلى القوة والبطش، أو على حد تعبير أحد الزعماء الصهاينة (إن ما لا يتحقق بالقوة يتحقق بمزيد من القوة) فإن إيصال القيم غير المحسوسة مثل الحق والعدل للعدو يتطلب الضغط على حواسه الخمس من خلال العديد من الرسائل المسلحة حتى يعرف أن العربي الحقيقي ليس مجرد صورة باهتة في وجدانه يمكنه تغييبها، وإنما هو قوة واقعية يمكن أن تسبب له خسارة فادحة إن هو تجاهلها أو حاول تهيمشها وتهشيمها."

يقدم المسيري في إطار تحليله للخارطة الادراكية للمستوطن إجابة شاملة على السؤال السابق حول أمد الصراع وأسئلة اخرى منها ما هو تفسير هذا التطرف الصهيوني المتزايد؟ وما سر هذا التأييد الشعبي العارم لشارون؟ لم لم يولد الخوف من الهجمات الاستشهادية قدراً من الاعتدال؟ أليس انتخاب شارون دليلاً قاطعاً على صدق مقولة دعاة وقف الانتفاضة، فشارون المتطرف حل محل باراك المعتدل بسبب الهجمات الاستشهادية؟

وللإجابة على هذه الأسئلة يبدأ في توصيف طريقة إدراك المستوطنين للسكان الأصليين والتي تتم في رأيه من خلال ثلاثة أنماط أساسية: الإنسان الغائب - الإنسان الهامشي - الإنسان الحقيقي. وهذه الأنماط ليست ثابتة أزلية، وإنما تتغير بتغير الظروف، شأنها في هذا شأن أية خريطة إدراكية. فموازن القوى قد تساهم في تقويض نمط إدراكي، كما قد تساهم في دعمه. ويمكن تلخيص تحولات الخريطة الإدراكية الاستيطانية على النحو التالي:

1 - في حالة اتجاه موازين القوى لصالح المستوطنين و ضد صالح السكان الأصليين، فإن هذه الموازين ستدعم الإدراك الاستيطاني العنصري المتحيز. وسيرى المستوطنون أن البنية الاستيطانية/ الإحلالية قد حققت لهم الأمن الذي يبعونه والمستوى المعيشي المرتفع الذي يتطلعون إليه. وسيساهم ذلك في تحويل الواقع التاريخي إلى شيء هامشي باهت، وتدعم البرنامج السياسي الاستيطاني/ الإحلالي بوصفه مرشداً للتعامل مع الواقع، ويتهمش السكان الأصليين إلى أن يغيبوا تماماً من شاشة الوجدان الاستيطانية ومن خريطة المستوطنين الإدراكية.

2 - في حالة اتجاه موازين القوى لصالح السكان الأصليين و ضد صالح المستوطنين، يتولد قدر من الواقعية لدى المستوطنين، إذ يكتشفون أن البنية الاستيطانية/ الإحلالية لم تحقق لهم الأمن الذي يريدونه ولا الرفاهية التي يبعونها، ومن ثم تظهر على شاشة وجدانهم صورة السكان الأصليين، وتتعدل خريبتهم الإدراكية تدريجياً. وتتناسب درجة التحول تناسباً طردياً مع حجم المقاومة ودرجة تزايدها. وتساهم عملية إعادة صياغة الإدراك في تبيد الأوهام والأساطير الإيديولوجية. أي إن ميل موازين القوى لصالح السكان الأصليين يؤدي إلى ترشيد العقل الاستيطاني. ولكن تحلل الخريطة الإدراكية يُعد من أكثر التجارب إيلاًماً، ولهذا يُلاحظ أنه قبل الوصول إلى مرحلة الواقعية والاعتدال يمر المستوطنون عادةً بمرحلة من التطرف والوحشية دفاعاً عن خريبتهم الإدراكية، ولا تستمر هذه المرحلة لفترةٍ طويلةٍ في المعتاد إن استمرت موازين القوى لصالح السكان الأصليين من خلال استمرار مقاومتهم.

ويمكن أن نفسّر التطرف والاعتدال في الجيوب الاستيطانية في ضوء الاحتمالين السابقين. فإن ظل السكان الأصليين ساكنين دون أن يتحدوا الرؤية الإدراكية الاستيطانية أو موازين القوى السائدة، أصبح من الممكن قبولهم ككَمٍ متخلف هامشي غائب، ويصبح من الممكن إظهار التسامح تجاههم، بل ومنحهم بعض الحقوق مثل (الحكم الذاتي) (وهنا تكمن المفارقة). أما

إذا تحرك السكان الأصليون لتأكيد حقوقهم ورفضوا الهامشية المفروضة عليهم وتحذوا الرؤية الاستيطانية وبدؤوا في تغيير موازين القوة لصالحهم، فإنهم يصبحون مصدر خطر حقيقي ومن ثم يتعين ضربهم ويصبح التسامح معهم أمراً غير مطروح، وبالتالي يتزايد التطرف والبطش.

الآثار التي تركتها الانتفاضة على الكيان الصهيوني : على مستوى الواقع جاءت الانتفاضة لتعصف "بالسياحة" المنفذ الثالث للاقتصاد الاسرائيلي والذي يقوم في الأصل على ثلاث ركائز هي الصناعات التكنولوجية أولاً والدعم الأمريكي ثانياً والسياحة ثالثاً .

أما على المستوى الكلي فإن أهم آثار الانتفاضة يتمثل في أنها استطاعت أن تحد من تصاعد الأوهام الاستيطانية، وأن تضع العقل الاسرائيلي في قلبه الصحيح، وان تنزل به من سماء الأحلام الوردية إلى واقع الصراع اليومي وهنا يقدم الكتاب عدداً هائلاً من الشواهد المنثورة في الصحافة الاسرائيلية والدالة على عدم القناعة بالطرح الرسمي حول كون الانتفاضة قابلة للاحتواء وأن الكيان الصهيوني قادر على تجاوزها.

لقد حاول هذا الكتاب أن يقول أن الانتفاضة تجاوزت مجرد كونها رد فعل عاجل وعابر وموضعي وتحولت إلى حرب تحرير مستمرة في موجات ..ومن الضروري أن نعلم في ختام هذا العرض أن ما لم يحصه المسيري ويصرح به من الأدوات التي استخدمها في إجراء هذا التحليل قد لا يقل أهمية عما صرح به وهي بلا شك هامه لمن يروم استكشافاً محصياً لأدواته التحليلية ويسعى للاستفادة من معطياته المنهجية، وأعمال المسيري جملة مسرح مفتوح لتحصيل ذلك ، وكتاب (من الانتفاضة إلى حرب التحرير) هو النموذج التطبيقي الأروع لذلك المدخل ... وهو تعزيز اضافي يؤكد أن هذا الاتجاه في القراءة والتحليل حقيق بما نسب له من أنه أسهم بالنصيب الأوفى في تغيير مسار الدراسات العربية والفلسطينية والمسألة الاسرائيلية والدراسات الصهيونية .. واستطاع أن يقدم خطاباً قادراً على تحقيق مطالب الذات والتعبير عن توجهاتها مع القدرة في ذات الوقت على مخاطبة الآخر والاعتراف بوجوده.